



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية المنصور الجامعة

قسم الإعلام الرقمي

المادة: الصحافة الاستقصائية

م.م. قاسم مصطفى المعيني

المرحلة الثالثة

الدراسة (الصباحية والمسائية)

المحاضرة الرابعة

2024-2023

## الصحافة الاستقصائية في العالم العربي

دخلت الصحافة الاستقصائية الممنهجة الى العالم العربي في وقت متأخر، قياسا الى باقي بلدان العالم إذ عادة ما ينشأ هذا النوع من الصحافة في ظل ديمقراطيات يمكنها أن توفر الحماية الكافية للصحفيين لأداء واجبهم في تعقب الفساد وكشف الممارسات الخاطئة للحكومات والشركات والافراد الفاسدين، وهو ما لم يكن متاحا في بلدان العالم العربي التي كان معظمها يعاني سطوة الأنظمة الشمولية ويفتقد الى البيئة التشريعية المناسبة في مجال حرية الصحافة.

برغم ذلك يرى الباحثون أن هناك بعض التجارب الاستقصائية العربية المبكرة التي يمكن تأشيرها على أنها بواكير للصحافة الاستقصائية وأبرزها التحقيق الصحفي والروائي إحسان عبد القدوس عام 1949 وفجر من خلاله ما يعرف بـ فضيحة الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في حرب 1948، وعد المؤرخون هذه الفضيحة فيما بعد من الأسباب الرئيسية لتأسيس تنظيم الضباط الأحرار المصري الذي قام بأسقاط النظام الملكي واقامة النظام الجمهوري في تموز يوليو عام 1952.

لكن بالقياس على النمط الممنهج للصحافة الاستقصائية الذي مارسته الصحافة العالمية خلال الثلث الأخير من القرن العشرين، ويمكن القول إن أول تجربة استقصائية ممنهجة ومبنية على الأسس العالمية في التحري والتحقق من المعلومات ومواجهة المتسببين، ولدت مع أنطالق شبكة أعالميون من أجل صحافة استقصائية عربية (أريج IRIJ) التي تأسست في العاصمة الأردنية عمان في عام 2005 ونشطت في تسع دول عربية هي: العراق والاردن وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر وتونس والبحرين واليمن.

وجاء تأسيس شبكة أريج بهدف تأمين الدعم للصحفيين الاستقصائيين العرب ومساعدتهم في انجاز تحقيقات استقصائية معمقة تمس واقع مجتمعاتهم وتكشف الانتهاكات القائمة ونجحت الشبكة خلال

أقل من عشر سنوات من عمرها في انجاز و متابعة أكثر من 300 تحقيق استقصائي مكتوب أو مرئي أو مسموع و تناولت مختلف القضايا السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و البيئية في العالم العربي، ورسخت شبكة أريج من خلال نشاطاتها السنوية التجربة الاستقصائية العربية على نطاق واسع، إذ دربت نحو 1500 صحفي في المنطقة العربية، وأقامت منذ عام 2008 حتى عام 2014 سبعة مؤتمرات دولية للصحافة الاستقصائية.

## الصحافة الاستقصائية في العراق

كان العراق واحداً من أوائل البلدان العربية التي عرفت الصحافة المطبوعة، ومنذ صدور العدد الأول من جريدة (الزوراء) عام 1869، مرت الصحافة العراقية بأدوار متعددة كانت في أغلبها ذات طابع حكومي تهيمن عليه السلطات القائمة، سواءً خلال الاحتلالين العثماني والبريطاني أو خلال العهدين الملكي والجمهوري، وغالباً ما كانت هذه السلطات تتحكم في محتوى الصحافة العراقية وتربطها برغباتها كسلطات حاكمة، باستثناءات بسيطة وخلال فترات زمنية محدودة. وتميزت الصحافة العراقية في بداياتها بأنها صحافة خبر لا مساحة كبيرة فيها لباقي الفنون الصحفية، ثم سرعان ما تحولت الى صحافة رأي تركز على المقالات والآراء ثم لاحقاً جمعت بين الاثنين (الخبر والرأي)، وأهملت الفنون الأخرى بما فيها صحافة التحقيقات،

مع هذا ومن خلال قراءة موجزة للتاريخ الطويل للصحافة العراقية، يمكن القول أنها عرفت ومارست، وأن كان بحدود ضيقة، تجارب لتحقيقات صحفية حملت في طياتها قصصاً و افكاراً استقصائية تقترب الى حد ما من المفهوم المعاصر للصحافة الاستقصائية.

فخلال العهد الملكي (1921-1958)، تناولت بعض الصحافة العراقية قضايا فساد أو ممارسات خاطئة، ومن ذلك مثلاً ، ما نشرته صحيفة (صدى الاستقلال) في 4 نيسان ابريل 1956 و تحدثت فيه عما وصفته بعمليات التزوير في الانتخابات التي أجريت آنذاك، اذ تورد الصحيفة عمليات التزوير كانت فاضحة لا تحتاج الى دليل، وتعيين غالبية أعضاء البرلمان هما أهم سمتين تطبعان ملامح ديمقراطية ذلك العهد، لذلك نجد أن قبة البرلمان تضج وتعج بالشيوخ الأقطاعيين الذين لا يحسنون حتى كتابة أسمائهم، وكذلك برجالاات يتم اختيارهم بعناية لتمرير سياسة الحكومات التي يترأس أغلبها نوري السعيد وغيره من السياسيين الذين ينسجمون مع خطه ورؤاه.

كما شهد العهد العارفي (1963-1968)، اشتغال عدد من الصحفيين على قضايا ذات طابع استقصائي. مثل الصحفي حربي محمد الذي تخفى عام 1962 بهيئة متسول في منطقة الباب الشرقي وسط العاصمة بغداد، وتمكن خلال يوم واحد فقط من عمله بالحصول على 131 ديناراً عراقياً صدقات من المارة، وهو مبلغ كبير جداً آنذاك كان يعادل نحو أربعة أضعاف الراتب الشهري لموظف من حملة شهادة البكالوريوس (36 ديناراً)، ما دفع مجلس الوزراء الى اتخاذ قرار بملاحقة المتسولين وإيداعهم في دور الرعاية، وهو ما أسهم في الحد ظاهرة التسول لوقت ليس بالقصير.

وفي تسعينات القرن العشرين، وبرغم القبضة الحديدية التي أحكمها النظام السابق على الحريات العامة والخاصة في العراق، وبضمنها الحريات الصحفية، ظهرت بعض التجارب الاستقصائية التي استثمرت المساحة الضيقة للعمل الصحفي، وتحديدًا في الصحافة الأسبوعية التي راجت آنذاك. وتمكن عددًا من الصحفيين العراقيين، من أنجاز تحقيقات تستند إلى فرضيات و آليات قريبة جدا من معايير الصحافة الاستقصائية، لكنها جميعها توقفت عند حدود معينة، خوفاً من بطش السلطات أو منع النشر.

فقد نشرت جريدة المصور العربي تحقيقات أظهرت بشكل غير مباشر، هشاشة الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية التي سادت في العراق خلال عقد التسعينات، وكان من أبرزها تحقيقات تعقبت الشركات الوهمية التي استدرجت عشرات الآلاف من العراقيين واستحوذت على أموالهم بحجة استثمارها في مشاريع تبين لاحقاً أنها وهمية.

كما نشرت الجريدة تحقيقا كاشفا يفضح الأوضاع المعيشية المتردية التي كان يعيشها أساتذة الجامعات في العراق، من خلال تصويرهم بشكل سري وهم يرتدون جوارب وملابس داخلية ممزقة إثناء خوضهم لعملية فحص الوزن في مركز اليرموك الترفيهي وهو ما دفع النظام السابق إلى إلغاء قرار ربط الترقيات العلمية

بضبط أوزان الأساتذة، ومنحهم بدلات مجانية سنوية. ونشرت بعض الصحف الأسبوعية خلال عقد التسعينات، تحقيقات أخرى ناقشت قضايا بعض الظواهر السلبية التي انتشرت في المجتمع العراقي، بنأشير السياسة الشمولية للنظام السابق و الحصار الاقتصادي الدولي المفروض على العراق آنذاك، والمراقب لما أنجز من تحقيقات خلال العقود التي سبقت عام 2003، يلاحظ أن بعضها كان يقترب بحذر من الخطوط الحمر التي وضعها النظام السابق، ولكنها كانت تحاول أن تبقى في منطقة أمنة تجنب الصحفيين حجب موادهم عن النشر، أو التعرض لغضب النظام.

وابتداء من ربيع عام 2003، شهد العراق فوره إعلامية غير مسبقة تضمنت إصدار نحو 181 صحيفة و إطلاق أكثر من 60 قناة فضائية و 120 محطة إذاعية، فضلاً عن مئات الوكالات و المواقع الإلكترونية التي ركزت بشكل أساسي على ملاحقة الأحداث المتسارعة في العراق، وهو ما فرض طغيان الطابع الخبري على حساب باقي الفنون الصحفية، بحكم وقوع العراق في قلب الأحداث الشرق أوسطية.

في عام 2010 عقدت وكالة أنباء أصوات العراق أول مذكرة تفاهم عراقية مع شبكة أريج العربية، وكانت تنص على أيجاز عدد من التحقيقات الاستقصائية في مجالات الفساد والانتهاكات وسوء الإدارة. بالاستفادة من الخبرات التي وفرتها شبكة أريج للصحفيين العراقيين، تأسست في العراق شبكتان متخصصتان بالصحافة الاستقصائية، هما شبكة إعلاميون عراقيون من أجل صحافة استقصائية (نيريج) التي تأسست عام 2011، وشبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (تقصي) التي تأسست في أيار 2014.

وقياساً على حداثة التجربة العراقية في مجال الصحافة الاستقصائية الممنهجة، كان من اللافت أن يحوز الصحفيون الاستقصائيون العراقيون على سلسلة من الجوائز العربية و العالمية المتقدمة ما بين عامي 2010-2013 .

ويشير هذا المنجز الاستقصائي العراقي الذي تحقق خلال السنوات القليلة الماضية، وما سبقه من منجز استقصائي أنجز في ظروف غاية في الصعوبة، إلى وجود قدرات ومؤهلات استقصائية كبيرة تؤهل الصحفيين العراقيين لولوج هذه التجربة بقوة، لا سيما في ظل حاجة العراق إلى ترسيخ ثقافة استقصائية منهجية، وإنجاز أعمال استقصائية كاشفة تساهم في الحد من أية مظاهر للفساد أو الانتهاكات المجتمعية ترافق تجربته الديمقراطية الناشئة.